الترصيف

فيما لمؤلفه من التصنيف

للعلامة سيدي أحمد سكيرج رضي ا عنه

تحقيق ذ محمد الراضي كنون

الإدريسي الحسني

الترصيف
فيما لمؤلفه من التصنيف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
اعلم أن عدد التآليف التي أنعم الله بها علينا هوالمائة، و قد اقترح عليّ بعض أحبابنا تجريد أسمائها ببيان موضوعاتها، فشرعت في تويلف سميته بالترصيف، بما لمؤلفه من التصنيف، و غالب هذه المؤلفات في فقه الطريقة التجانية، و فضائلها و الدفاع عنها و عن غيرها من طرق أهل الله، غير أني لما جمعت كلها في أجزاء ما بلغتْ جزءا واحدا من المجلدات الضخمة من تآليف من مضى من أعلام الأمة، و إنما هي من باب ما يقال في المثل: كثرة العد و قلة القبض، و ليس هذا من باب التواضع و التنزل الموهوم، و إنما هو إخبار بالواقع، و قد تحقق عندي أني من المغرورين بالإشتغال بها حيث أنها ستكون حجة علي، وياليتني أخلص منها فتكون لا علي و لا لي. وهي كالتالي:

الهدية السارة. بالمسامرة ببيان بعض العلوم النافعة و بعض الفنون الضارة [2]
و هي مسامرة جامعة لفنون جمة، تزيد معلومات الطالب بمطالعتها، و ينتفع بمراجعتها، وهي نحو مائة علم، بين متداوَل و غيره، مما تقرر اصطلاحه، و ربما اندمج بعض الفنون في بعض في مسألة من مسائله، و قد تصعب التّفرقة فيما بين المتعدد منها من الجهة العلمية الخاصة بها، و لا زالت في مبيضتها إلى الآن.

---

[1]- هو كتاب هام ومفيد، حاول المؤلف من خلاله إلقاء الضوء على ما دبجه ببراعة من مصنفات مختلفة في الأدب والتاريخ والترجمة والفقه والحديث و التصوف، مع التعريف بمحتوياتها، وتيسير سبل الإنتفاع بها، سواء منها مؤلفاته المطبوعة والموجودة في متناول القراء وقتئذ، أو التي لا زالت في طريق الإعداد والطباعة.
لكن فكرة هذا الكتاب لم تعمر طويلا في ذهن العلامة سكيرج، الذي ما فتئ أن انشغل عنه بإعداد مؤلفاته الأخرى، بينما لم تتعدى صفحات مؤلفنا هذا عشرين صفحة، تحدث فيها بإيجاز حول اثنين وعشرين تصنيفا من مصنفاته، التي تناهز 170 مؤلفا.
وللمزيد من التوضيح فسبب شروعه في تأليف هذا الكتاب يعود لتلميذه العلامة سيدي محمد الحافظ التجاني المصري، إذ هو الذي اقترح عليه هذه الفكرة، وألح عليه طويلا للعمل على إنجازها. وتفيد ما لدينا من المصادر أن تاريخ شروعه في كتابة هذا المصنف كانت في عام 1353 هـ أي قبل عشر سنوات من وفاته رحمه الله.
[2]- هي من عداد الكتب التي أَدْرَجْنَاهَا ضمن هذا الجزء

نزهة الخاطر، في اضمحلال الثائر [1]
هي مقالة شبه مقامة، أنشأتها أيَّام السلطان المولى عبد العزيز، شرحت فيها حالة قبيلة غياية و القبائل المجاورة لها حين نزل بها الثائر أبو حماره، و ما لاقته الجنود العزيزية الموجهة إليه، و التنبئ بما يؤول إليه أمره بعبارة تأخذ بالألباب، و قد استعارها منا الأديب النابغة السيد عبد الحميد بن عبد السلام الرندة، فضاعت عنده، و لم ير وجهها أحد بعده، و هكذا الشأن فيما يُعار و ليس له نظير، و لقد أحسن القائل:

ألا يا مستعير الكتب دعني	فإن إعارتي للكتب عـــــار
فمحبوبي من الدنيا كتـــاب	و هل أبصرت محبوبا يُعار

المنفرجة السكيرجية
هي منظومة من بحر المتدارك الذي نسج على منواله أبو الفضل ابن النحوي منفرجته التي يقول في مطلعها:

اشتدي أزمة تنفــــــرجي	قد آذن ليلـك بالبلــــــج

فقلت في عددها و رويها على عادة المنفرجات:

فرج الله بالقرب منك يجي	لا توقع نفسك في الحرج

و قد شرحها جماعة من أعيان العارفين، منهم العارف بالله أبو عبد الله الشيخ محمد بن علي التادلي، الرباطي أصلا، الجديدي سكنى، فإنه شرحها بشرحين كبير في نحو مائة و رقة، وصغير في كراسة صيرها حكما نثرية، و أبدع في ذلك ما شاء، و قد طبع هذا الشرح الصغير بمصر، كما طبع شرح الخليفة المعظم، مفخرة القطر السنغالي، أبي عبد الله سيدي الحاج محمد بن عبد الله انياس على هذه الأرجوزة في نفس نفيس، جازى الله الجميع خيرا.

---

[1]- بحثت طويلا عن هذا الكتاب، غير أنني لم أقف له على أثر، وتيقنت من ضياعه، والمعروف أن كثيرًا من العلماء التجانيين عاضدوا السلطان المولى عبد الحفيظ في حربه على الثائر محمد بن الجيلاني الزرهوني، المعروف بأبي حمارة، وقد وقفت في هذا الصدد على توليف صغير للعلامة سيدي محمد بن عبد الواحد النظيفي سماه: نصرة السلطان وإغاظة الشيطان، كما وقفت في الموضوع نفسه على قصيدة طويلة للعلامة الأديب سيدي الطيب عواد السلاوي، قالها لما شاع خبر القبض على الفتان المذكور، تقع في 78 بيتا، قال في مطلعها:

رسائل الفتح والتمكين والظفر	قد شنفت سمع أهل البدو والحضر
وأقبلت من بساط الملك منبئة	بما يسرُّ النهى من مطرب الخبــر

حور المغاني في نظم جواهر المعاني [1]

هو أرجوزة منسجمة، نظم فيها ما اشتمل عليه جواهر المعاني المؤلف قيد حياة الختم التجاني في طريقته المثلى، و قد ذكر طرفا من هذا النظم في كشف الحجاب، و ما زيد فيه في رفع النقاب، و يظهر أنه يتم في نحو أربعة آلاف بيت، أتمه الله بالقبول و بلغ به ناظمه و من نظر إليه بعين الرضى غاية المأمول، يقول في مطلعه:

الحمد لله على الإنعـــــــام	بنعمة الإيمان و الإســــلام
حمدا يوافي سائـــــر الألاء	في حالة السراء و الضــــراء
و الشكر دائما على إحسانه	وجوده وجودة امتنانـــــــه
شكرا يليق بجنابه الجليــــل	و منه نستوجب فضله الجزيل
ثم على خير الورى صلاته	مع سلام عظمت صلاتُـــــه

إلى أن قال في ترجمة نظم الخطبة:

الحمد لله الذي أفاضــــــا	على جميع الأوليا حياضـــا
تدفقت في معدن الأنــــوار	و كوثر العرفان و الأســرار
واختارهم من سره المكنون	وكنز در علمه المصــــون
حلاهم بحلة السنـــــــــاء	و حلل الجمال و البهـــــاء
و في العلى أطلعهم أقمــارا	بهم سبيل الحق قد أنــــارا
بنورهم من الهدى طريقـــه	قد استضاءت سبل الحقيقـــه
تبوءوا منه قرارا و وطـــن	فقلبهم بذكره حقا سكــــــن
فلجميع السالكين طــــاروا	هداية و منهجا يختـــــــار
و أبرزوا منا لكل لاحـــــق	منار حق لاهتدا الخلائــــق
لولاهم ما سلكت فجـــــاج	سبل الهدى و لم يكن عـلاج
و لا تبين الهُدى استبصارا	حقا لأنفس الورى إقــــرارا
سبحان من خصهم بالحكمة	و النور بين سائر البريـــة
و شرح القلوب و الصدورا	بهم و قد جعلهم صـــــدورا
فإنه جعلهم للديـــــــــــن	خير نصير في الورى معين

---

[1] ـ المعروف عن العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج أنه قام بنظم مجموعة من الكتب الهامة، خصوصا منها ذات الصلة بالسيرة النبوية العطرة، وكان الهدف من نظمها هو تمهيد قراءتها للطلاب، وتسهيل حفظها وترسيخها في أذهان القراء، وبناء عليه قام رحمه الله بمحاولة جادة في سبيل نظم كتاب جواهر المعاني، للعلامة العارف بربه سيدي الحاج علي حرازم الفاسي، غير أن هذا النظم لم يكتب له أن يسير إلى خط نهايته، بل اختار الناظم أن يقف بقلمه دون إتمامه، ليس عجزا عن إنجاز هذا المسعى النبيل، ولا تهاونًا في خدمته، ولكن نزولا عند أمر أستاذه الولي الصالح سيدي أحمد العبدلاوي، الذي طلب منه أن يترك إتمام هذا النظم إلى حين صدور إذن خاص في شأنه.

نصيحة الإخوان في سائر الأوطان [1]
هي نونية كاملية، تناهز 500 بيتا، نصح بها إخوانه من أهل الطريقة التجانية بما يتعين النصح من كل مقدم فيها سلك على قدم الصدق لمريديها، و يتعين على كل مريد العمل بمقتضاها، لاشتمالها على لب الطريقة، والوقوف بها على عين الحقيقة، مما يزيد به المعتقد حسن اعتقاد، و لا يجد فيها المنتقد أدنى انتقاد، مطلعها:

علي أرى فرضا نصيحة إخوانـــــي ... و من لي بأن يصفوا بقلـــب و آذان
و من لم يكن مستحضر الفكر عند من ... يخاطبه لم يستفد غير خســـــران
يظل من الأوهام في حال حيـــرة ... يضل بها عن نهج حق لبطـــــلان
و يضحى كمن في الدين يهدم ما بنى ... و قد كان يهدي بالذي قد غدا بانـــي
و من ذا الذي يرضى بتضليله و كـم ... دعا الناس للإحسان من غير نكـران
أليس بعار أن يدنس عرضـــــه ... و ما زال ذا عرض نقي بإيقـــان
و يزداد حبا في التجاني و شأنـــه ... على رغم أنف الحاسد الجامد الشانـي
له في طريق النصح حسن مقاصـــد ... بها يحرز المقصود في أهل عرفـان

و قد طبعت بالمطبعة الفاسية، و بمصر المحروسة بمطبعة الصدق.

زهر الأفانين في الجواب عن الأسئلة الثلاثين
في نحو سبع كراريس، و قد تضمن الجواب على هذه الأسئلة على أتم وجه، وجهها إليه العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الماجد الأمدرماني، من سودان مصر، بعدما أجابه بالنفحة العنبرية، أولها بعد البسملة بمفتاح حمد الله: أستفتح مغلق أبواب خزائن الفضل، فأستخرج أنفس النفاس مما يطمإن القلب به في علمي الظاهر و الباطن من فرع و أصل، و نستنتج من ذلك قبول الحق في الخلق، فاعرف الخلق بالحق و الحق بالحق، إلى تجرد للأسئلة و فرعها في الجواب، و بسط القول فيها على المسلك الذي نسلكه منها.

السؤال الأول قال فيه قد اشتمل على مسائل يحتاج إلى تمييز بعضها عن بعض، كل مسألة على حدتها، لتكون ترجمة ناصة بنفسها في الجواب عنها.
المسألة الأولى: عن صفة التلقين الذي كان يفعله سيدنا رضي الله عنه عند أخذ العهد عليه.
المسألة الثانية: هل لهذا التلقين الطريقة التجانية مأخوذ من الكتاب و السنة
المسألة الثالثة...

[1]- قال في ختامها:

وَلِي بالتجاني الفخر والفخر حـق لي ... بحب التجاني في الورى طول أحياني
وإني علـــى أبوابـــــه متملـــق ... لنيل أماني في سلامـــــــة إيماني
ولله ربي الحمـــد وهـــو مـــوفقـــي ... إلى خدمة الشيخ التجاني وإخوانـــي
على كلهـــم منـــي أتمُّ تحيـــــة ... وتشمل من بين الورى كل ربانـــي
إليكم بني الإنصاف ما قلتـــه لكـــم ... ولكن أعيدوا فيه نظرة إمعـــــان
ولا تقصروا الأنظار منكم على الذي ... به شغل الأفكار منتقـــد عانـــي
فإن ظهر الحق المبين لكـــم فقـــد ... ظفرتم بحبل الله بالرغـــم للشانـــي
ولا تهملوا نصحي لديكم فإننـــــي ... قصدت به نظما نصيحـــة الإخوان

النكات الخفية في أبيات من الكافية أحسن من نظائرها في الألفية [1]

هذا التوليف يستحسن ما انطوى عليه من اعتنى بألفية ابن مالك رحمه الله، و عرف مضمن قوله (أحصي من الكافية الخلاصة) فالكافية هي الأصل، و الألفية كالفرع عنها، فالناظم يأتي في الخلاصة تارة بالبيت والبيتين فأكثر من الكافية، و تارة يختصر مضمن البيت و البيتين منها في الألفية، و مع ذلك فقد ترك أبياتا من الكافية أحسن مما جلبه في الألفية، فجمعنا بعض ذلك في هذا التويلف، ثم أعرضنا عن إتمامه لما أعرض الناس عن الألفية، و بردت الهمم عن النكات الخفية في الألفية، و نرجو من الحق أن يوفقنا للتمام، لما في ذلك من الفوائد المناسبة لذلك المهام.

القصيدة الكافية، بتضمين الهمزية في كاملية كافية [2]

سلك ناظمها فيها مسلكا واسع المجال، ثم اعترف بأنه ضاق به السلوك حين وصل لمجادلة الإمام البوصيري لأعداء الإسلام، و تأسف على ما اقتحمه في مجاراته بأخذ معاني أبياته التي أفرغها في قالب كامليته، و لم يجد فسحة يخرج بها من الضيق الذي أقلقه إلا ارتكاب الإيطاء، الذي يراه لا ممدوحة عنه، وبالتزام تكرره خفت وطأة الغيب المنوط به في علم العروض، يقول في مطلع هذه القصيدة:

كيف ارتقاء سواك في مرقـاك	و قد ارتقت فوق السماك سماك
فالأنبياء و إن تساموا في العُلى	لم يدركوا في العالمين عَـــلاك

و منها يخاطب الرسول عليه السلام:

و من المفازة إن بثت شكايتــــي	لك حيث أنت تغيث من نـاداك
ضمنتها في المدح و هو تعرض	مني به بين الورى لجــــداك
ما حاولت نفسي مديحك ساعــة	إلا و ساعدني نفيس ثنــــاك
ساجلت قوما فيه قد غاروا على	من بينهم أدلى الدلا لنـــداك
و عَلاك قد وسع الثنا فتنافـــس الــــ	ـــــشعراء في إبداع مدح عُلاك
لو بالغوا بغلوهم في المدح مـــا	بلغوا الوفاء لما استحق عَلاك
فأثب بفضلك من يمد يديه كـــي	يحظى بما لهم تمد يـــداك
حاكهم في نسج ما حاكوه مـــن	برد القريض لترتدي ما حاك
أو صافك الدرر الثمينة كلهـــا	نظما و نثرا قد سمت إدراكا
فلترض نظم جواهر من تبر غيــــ	ـــري صغت في تنظيمها أســـلاكا

و في الخاتمة:

و إليك قدمت الثناء و ليس لي	مال أقدمه لدى نجـــواك

[1]- هي من الكتب التي أدرجناها ضمن هذا الجزء أنظر ص
[2]- أدرجناه ضمن كتابنا مجموع الدواوين النبوية للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج.

و على ضريحك بالتمام تحية يخضل منها بالدوام ثراك
ما قام عبد للصلاة و قامت الـــــــــدنيا بربك و انتهت عليـــاك

جنة الجاني، في تراجم بعض أصحاب الختم التجاني [1]

هي أرجوزة اشتملت على أسماء بعض أصحاب الشيخ التجاني الذين أخذوا عنه مشافهة، ممن ترجم لهم في كشف الحجاب و في رفع النقاب، و الزيادة على ذلك و الإشارة لبعض مناقبهم، مع ما يناسب نفس المترجم له من الأحوال التي يكتسب بها مطالعها حالا ينشرح لها صدره، و ينكشف عنه بها ضره، ويغرّف من بحر أسرارهم سرا باهرا، و يرتقي به مقاما فاخرا، إن تخلق بما به تخلقوا، و تحقق بما به تحققوا، يقول في أوله بعد البسملة.

الإمدادات الأحمدية، في نظم العهود المحمدية [2]

و هي أرجوزة طويلة الذيل، اشتملت على ما انطوت عليه العهود المحمدية للقطب الشعراني رضي الله عنه، و لا زال إلى الآن لم يتم نظمها. يقول بعد البسملة فيما اشتملت عليه خطبتها:

حمدا لمن أوفى المطيع بالعقـود و حثنا على الوفاء بالعهـــــود
سبحانه هو المربي بالنعــــــم و المخرج العباد من كهف العدم
نشكره على جميع النعــــــم فشكره يكشف كل الغمـــــم
ثم على خير الورى أزكى صلاه منه تناسب عَلاه و عُـــــلاه
مع سلامه على أتباعــــــه و كل من حث على اتباعـــه
و بعد هذا فبيالي قد خطـــــر نظم العهود في عقود تعتبـــر
ضمنت ضمن كل عقد عهـــدا بما انطوى عليه عقدا عقـــدا
أطلقت في ميدانها عنانــــــي مقتديا بالعارف الشعرانــــي
و ربما اقتبست منه قبســـــا و ربما أطلت فيه النفســـــا
و ربما اختصرت ما أطال بــه تفننا في النظم من مطالبـــه
و ربما زدت عليه في كــــلام مراعيا في ذاك مقتضى المقـام
فقد أقرر الذي قــــــرره و قد أكرر الذي كـــــرره
و ربما خرجت عن موضوعه لغرض قد تم في مشروعـــه
فللزيادة و الإستطـــــراد للشيء معنى كان من مـــرادي
و للجديد لذة و ســـــــر تنشرح النفس به و الصـــدر
و الباعث القوي في جمعي لما جمعته تحرير ما قد نظمـــا
فإنني عند مطالعتــــــه أزداد فهما بمراجعتـــــه
فالشيء لا ينظم حتى يفهمـــا و الدر يحسن إذا ما نظمـــا
فكان في نظمي له فوائـــــد لي نفعها و لسواي عائـــــد

---

[1]- هو من الكتب التي أدرجناها ضمن هذا الجزء.

[2]- هي أرجوزة طويلة، عَمَدَ العلامة سكيرج من خلالها إلى نظم كتاب العهود المحمدية للعلامة العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني، غير أنه لم يذهب في نظمِهِ بعيدًا، وانشغل عنه ببعض مؤلفاته الأخرى، ولو أتمه لكان مفيدًا في بابه، اعتبارا لما يحتله كتاب العهود المحمدية من مكانة طيبة لدى القراء.

و يقول في المطلب الأول:

قد أخذ العهد على العمـــــــوم	من الرسول كاشف الغمـــــــوم
أن نرجو الوفاء من فضل الكريم	ففضله بين الخلائق عظيـــــــم
و نخلص النية لله لَـــــــــــــدَا	عملنا و علمنا إلى المـــــــدى
و نخلص الأعمال مما شابهـــــا	من الشوائب و ما قد عابهـــــا
حتى من الشهود للإخـــــلاص	و الفعل للثواب و الخـــــلاص
و إن يكن بالبال منا خطـــــرا	نشهَدْهُ من فضل الكريم قد جرى
و ليس ذلك للاستحقـــــــاق	لما فعلناه من الخـــــــلاق

إلى آخر هذا المطلب، و يقول في المطلب الثالث:

و أخذ العهد علينا أن نكون	ممن هم لكل خير يسلكون
فهم يسارعون للخيـــرات	لنيلها في سائر الأوقـــات
و قد أمرنا أن نكون منهـم	و لا يصدنا هوانا عنهـــم

الحجارة المقتية، لكسر مرءاة المساوي الوقتية [1]

و هو نظم. نونية كاملية، رد بها على ترهات الرحلة المراكشية، على أسلوب بديع، دَافع به عن حمى طرق أهل الله التي انتهك حرمتها مؤلف الرحلة المذكورة. و هو يناهز ألفي بيت مطلعه:

حمدًا لواهب نعمة الإيمـــــــان	بين العباد لطالب الإحســـــان
فحباه بالتصديق بين الأوليـــــا	فغدا يرى فيهم رفيع الشـــــان
شملته منه عناية فأحبهـــــــم	و محبهم منهم بـــــرغم الشاني
و الله حارب من يعاديهم و هــــل	ينجو محاربهم من النيـــــران
خابت مساعيه فلم يفلح و هــــل	ربحت تجارته مدا الأزمـــــان
يا ويل من آذاهم مما يـــــــرى	دنيا و أخرى من أذى و هـــوان
من ذا الذي قد خاض في أعراضهم	و نجا و لو يعلو على كيـــوان

و في أثناء الرد على المؤلف المذكور حكى بعض كلامه نظما، و ربما أتى بلفظة المنثور، وتعقبه بما هو فيه مذكور، فأبرد بذلك الغليل، و أبرأ به العَليل.

---

[1]- رد به على كتاب مرآة المساوي الوقتية، لمحمد بن محمد بن عبد الله المسفيوي، المشهور بابن الموقت. وكعادته عمد العلامة سكيرج في هذا الكتاب إلى الدفاع عن التصوف وأهله، ودحض أقوال مناوءيه، وتفنيد ادعاءاتهم وترهاتهم الباطلة، ولم يقتصر دفاعه المذكور عن طريقته التجانية فقط، بل تناول فيه مأمورية الدفاع عن عشرة طرق صوفية، وهي كالتالي، الطريقة القادرية، والطريقة الناصرية، والطريقة الوزانية، والطريقة التجانية، والطريقة المختارية، والطريقة الدرقاوية، والطريقة الفتحية، والطريقة الكتانية، والطريقة الشنقيطية المنسوبة للشيخ ماء العينين، والطريقة البوعزاوية.
ويقع الكتاب المذكور في جزءين وقد تمت طباعته بالمطبعة الجديدة بفاس سنة 1357 هـ

منحة الزّائر، بالمسامرة في نادي الترقي بالجزائر [1]

هي مسامرة لطيفة، اقترحها عليَّ نابغة قطره، أعجوبة الدّهر، أبو العباس السيد أحمد توفيق[2]، و فوض إلي اختيار الموضوع، فأنشأتها في مسقط الرأس حضرتنا الفاسية، فتكلمت عليها كلمة وقعت من الحاضرين موقع قبول، و تعرضت فيها لذكر حالتها و حال سكانها، وبالأخص كلية القرويين، و العلوم التي كانت تدرس بها، و ما اندرس فيها، و ما بقي أثره عند بعض العارفين به من فنون مما طرقت بابه، فانفتح السرور في وجهنا به، و قد حازها منا العاقل المحترم الشيخ وديع كرم مدير جريدة السعادة سابقا، ليطبعها لنا بمطبعة سورية، فكان آخر عهد بها عنده، و هكذا الشأن فيما لم يترك نسخة من تأليفه عنده، فعليه وحده العهدة.

شحذ الأذهان، بما رأيته في وهران و أبي العباس و مستغانم و تلمسان

و هو مسامرة ألقيتها بنادي المسامرات بفاس في أوائل افتتاحه، لخصت فيها ما تعرضت له في تأليفي المعنون بالرحلة الحبيبية، و ألحقت بها بعض الفوائد المناسبة لموضوعها، و قد استعارها مني الترجمان المحلف أبو عبد الله السيد الحاج محمد جسوس الجزائري ليترجمها، فأخبرني بضياعها، و كذلك كل معار لا نظير له يضيع، و لله الأمر من قبل و من بعد.

النفحات الربانية في الأمداح التجانية [3]

هو ديوان شعر، جمع فيه بعض القصائد التي مدح بها الشيخ التجاني رضي الله عنه، مرتبة على حروف المعجم، بما يناهز الخمسين قصيدة، اشتملت على الثناء على الشيخ قدس سره بذكر بعض مناقبه و فضائل طريقته، و التعلق بجنابه في الأخذ باليد، و بلوغ المقصد، بواسطته من الحضرة المحمدية عليها السلام الموصلة للحضرة العلية على حسب اعتقاد الصوفية، و من انتهج منهجهم في حسن الظن في أهل الله، ومفصحا فيه عن اعتقاده فيه، من كون مدحه من مدح الحضرة المحمدية عليها السلام، حتى قال:

لما علمت أنني	عجزت على مدح النبي
أتيت أمدح ابنه	و مدحه مـــــــن ؟؟؟؟

[1]- هو من الكتب التي أدرجناها ضمن الجزء الأول من هذه الرسائل

[2]- أحمد توفيق المدني، سياسي محنك، من مواليد تونس سنة 1317 هـ_1899م، وبها تلقى تعليمه وتكوينه، عين وزيرًا للشؤون الثقافية في الحكومة الجزائرية المؤقتة سنة 1958م، ثم سفيرًا للبلد المذكور لدى الجمهورية العربية المتحدة، ثم وزيرًا للأوقاف في حكومتين متتاليتين للجزائر بعد الإستقلال إلى حدود سنة 1966م حيث عين سفيرًا فوق العادة في العراق وتركيا وإيران.

من مؤلفاته: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، وحرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، وكتاب الجزائر وغيرها.

توفي بمدينة الجزائر العاصمة بتاريخ 1404 هـ_ 18 أكتوبر 1983م. أنظر ترجمته في مشاهير التونسيين 114_115، التراث المجمعي في خمسين عامًا، لإبراهيم الترزي 167. المجمعيون في خمسين عامًا، لمحمد مهدي علام 36. تتمة الأعلام للزركلي، لمحمد خير رمضان 1: 29.

[3]- عليها ثمانية تقاريظ، أولها تقريظ العلامة أحمد بن التهامي المكناسي، ثم عبد الكريم بن العربي بنيس، ثم المهدي بن عبد الرحمن بن سودة القرشي، ومحمد بن الأعرج السليماني، ومحمد التونسي ابن شقرون، وعبد الرحمن بن زيدان، ومحمد الغالي السنتيسي، ومحمد سالم الشنقيطي.

و قال:

لما عرفت أننـــي	عجزت عن وصف الرسول
قمت لمدح شيخنا	و مدحه به أصــــــــــول

و قد افتتحه بخطبة يقول فيها: نحمدك اللهم مانح العطايا، و فاتح أبواب الفضل على جميع البرايا، المتفضل بالمواهب الوافرة، و الآلاء الباهرة المتكاثرة، إلى آخرها، و قرَّظه جماعة من الأحباب، و هو وإن اشتملت قصائده على غلو فيه، فإن لسان المحبة يطلق، وَ إنْ قيد بلجام انطلق، و المحب معذور على كل حال، غير معذول في مقال، على أننا نرى ما قلناه في هذا الجناب قليل بالنسبة لما يستحقه الشيخ رضي الله عنه من الثناء الجميل، و أول قصيدة من هذه الأوّل يقول في مطلعها:

للتجاني فضل على الأولياء	باصطفاء من أفضل الأنبياء
كلما فاض منه سر تلقـــا	ه و يسري منه إلى الأشيــاء

و يقول من قصيدة ثانية فيه:

جررت من الفخار بكم رداءي	فكان ردى عداي به رضائي
و ما ظنوا بأني فيك مضنـــى	و عين بقاء عيني في فنائــي

و قلت في مطلع بائية:

أمي لغير حماك القلب عنه أبي	أمي فداك و نفسي دائما و أبــي
صبابتي فيك لست اليوم أنعتهـا	لكنني فيك صب منذ كنت صبي

و قلت من تائية:

نفسي على الحب فيك في الورى جبلت	و عنك بالقول طول الدهر ما عدلت
غدوت فيك شجي القلب في شجــــن	و العين مني بتسهير قد اكتحـــلت

و قلت في اليائية المختوم بها:

أجبت الهوى لما دعاني مناديـــــا	و ما كان يستطـع الجواب فؤاديـــــا
فحملته ما ليس يقوى لحملــــــــه	و من ذا الذي يقوى على حمل ما بيـا
أتحسب أن العشق سهل مرامــــه	و نار الهوى دكت جبالا رواسيـــــا
فإن كنت من أهل الغرام و حزبــه	تعالى نحدثك الذي كنت لاقيـــــــا
عسى تأتسي بي في طريق صبابتي	فيصبح مثلي عن سوى الحب ساليـا

و قلت من القصيدة الأخيرة فيه:

كلما رمت في ثناك النهاية	قيل لي لم توف حق البدايه
إنما الناس كلهم إن يقومـوا	لثناه لم يبلغوا فيه غايـــــه

إلى آخرها و قد طبع هذا الديوان بالمطبعة الفاسية عام 1333 هـ، محذرا الواقف عليه من غير الإخوان والمحبين أن يحمل ما انطوى عليه من الأمداح على الغلو المذموم، فإنما هي من أمداح جده عليه السلام.

إرشاد الأحياء، بنظم الإحياء [1]

و هو نونية كاملية، طويلة الذيل، نظم فيها ما اشتمل عليه كتاب إحياء علوم الدين للعارف الغزالي أيام شغفه بمطالعتها، و قد صرف في ذلك وقتا نفيسا، حصل فيه على ما هو أنفس منه من معارف و أسرار، و ازداد شغفا بها حين أنشده شيخه العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس قوله:

أحي بالإحياء قلبـــا	مات من ران الذنوب
فهو قوت الروح حقا	جامع قوت القلـــوب

مطلعه بعد البسملة:

إني حمدت الله ذا الإحســــــان	حمدا كثيرا سائر الأحيــــان
و الحمد مني لا يوفي شكـــــره	و لو أنني استغرقت فيه زمانـي
بل حمد كل الحامدين و إن سمـــو	متضائل عن شكره الحقانـــي
ثم الصلاة على جميع الأنبيـــــا	بعد الصلاة على النبي العدناني
و عليهم أزكى التحية دائمـــــــا	تغشى جميع الآل و الصحبـان
و قد استخرت الله في نظمي لمـــا	قد ضمن الإحياء من عرفـــان
فالنظم عند ذوي الولوع محــــرك	لقرائح الطلاب أولي الشــــان
فيزيدهم عند التأمل خبـــــــرة	و يزيدهم ذكرى مع الإيقـــان
و لو أن إقدامي على ما رمتـــــه	صعب فإن النظم طوع بنـــان
و قصدت نفعي بالذي قررت من	نظم المعاني منه في إمعانــــي
و لقد حلا عندي تكرر ما تقــــر	ر عنده في السر و الإعــــلان
ما ازددت فيه تأملا إلا بـــــــدا	لي منه حسن لطالب التبيـــان

شرب المدام، بتخميس أبيات حفظتها في المنام [2]

و هو ديوان جمع تخاميس أبيات كنت حفظتها في المنام، فاستيقظت و هي على طرف لساني، نصها:

---

[1]- لم ينظم منه سوى صفحات قليلة، ثم انشغل عنه بكتاباته الأخرى.

[2]- فرغنا من تحقيقه وطبعه في شهر رمضان المعظم عام 1425 هـ_نونبر 2004م.

خذ سنة الله بين خلقه أبـــــــدا	و لتجعلنها لديك خير قسطـــــاس
ما عظم المرء آل البيت دون مِرا	إلا و عظم عند الله و النـــــاس
فالحظ بعين كمال الفضل قدرهم	و اخضع لهم دائما بالقلب و الراس

فخمَّسها نحو الخمسين أديبا، ترجمت لهم في تأليفنا المسمَّى: تحفة الأنام المتقدم الذكر، وجردنا تلك التخاميس حفظا لها قبل تراجم ناظميها، فجاءت مجموعة الشمل، إلى أن خرجت في ذلك الشكل المترجم لهم به.

تحفة الأنام، بتراجم من خمس أبياتا حفظتها في المنام [1]

جمع تراجم نحو خمسين أديبا من أدباء المغرب على أسلوب غريب، يستحسنه الأديب الأريب، و قد ذكرت بعض أدبيات لكل من ترجم هذه الأبيات، و صدرته بقصيدة سينية أنشأتها في مدح حضرة سيدنا العباس عم النبي صلى الله عليه و سلم، ختمتها بالأبيات المشار لها مكتوبة بالون الأحمر، حسبما رأيته في الرؤيا التي حفظتها فيها، و قد حكيت الواقع في هذا التويلف المشتمل على نحو أربع كراريس، بما انطوت عليه من سوابق ولواحق، و بالله التوفيق.

تفريج الشدة، في تشطير البردة [2]

قد جرى في هذا التشطير في مجرى الإنسجام من غير أن يتصنَّع فيه، و لم يصدره بخطبة، بل قال في أوله و كان ذلك منه شبه ارتجال:

أمن تذكر جيران بذي سلـــــــــم	أوقدتَّ في قلبك الأشواق في ضـــرم
فصرت مشغول فكر في هواك و قد	مزجت دمعا جرى من مقلة بـــــدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمــــة	فملت معها لشم عرفها العمـــــــم
أم طار عقلك حين طارحتك هـــوى	و أومض البرق في الظلماء من إضم

و يقول في خاتمتها:

و أذن بسحب صلاة منك دائمـــة	على الرسول تفوق طيب الديــــــم
و اسحب سحائب خيرات مؤبـدة	على النبي بمنهل و منسجــــــــم
ما رنحت عذبات البان ريح صبا	و ما تحرك وجد الصب في سلــــم
و ما توالت على كل الورى نعـم	و أطرب العيس حادي العيس بالنغم

[1]- أدرجناه ضمن الكتاب السابق، وكان فراغنا من تحقيقهما وطباعتهما معا في شهر رمضان المعظم سنة 1425م_ نونبر 2004م.

[2]- أدرجناه ضمن كتابنا مجموع الدواوين النبوية للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج.

شفاء العليل، بتحويل البردة من بحر البسيط إلى بحر الطويل [1]
قد صدر هذا النظم بشبه خطبة يقول فيها: حمدا لمن بسط يديه بوافر النعم، لمن مدّ إليه اليد فملأها من كامل الفضل الأتم، إلى أن تخلص لسبب تحويل البردة لبحر الطويل، حيث وقف على تحويل بعضهم لها إلى بحر المنسرح، يقول في المطلع:

أمن تذكر عرب ذي سلم　　　دموع عينيك مزجها بـــدم
أم هب طيب نسيم كاظمة　　　أم نور برق أضاء من إضم

فنسج على منوالها من بحر الطويل حيث يقول:

أمن ذكر جيران أقاموا بذي سلم　　　مزجت دموع العين من مقلة بـــدم
أم الريح من تلقاء كاظمة جرت　　　و أومض برق في الدياجي من إضم

و في ختامها:

فيا رب و اجعل غير منعكس رجـــــا　　　ء عبدك و اجعل عده غير منخـرم
و بي الطف لدى الدارين يا سيدي فلي اصطبـــــــــار متى الأهوال تدعه ينهــزم
و سحب صلاة منك تهمي على النبــــي　　　بأعظم منهل و أكمل منسجــــــم
على طول رقص البان في حضرة الصبا　　　و أطرب حادي العيس عيسه بالنغم

الذخيرة للآخرة [2]
و هو من القصائد الربيعيات، ألفت في ربيع عام 1339 في نحو 1515 بيتا، و قد امتازت عن غيرها أنها صدرت عن إذن، حيث رأى ناسجها شيخه العلامة أبا العباس بن الخياط في مشهد، و تفاوض معه في مدح الجناب المحمدي عليه السلام، فقال له: يتعين عليك أن تمدحه صلى الله عليه و سلم، فاستيقظ و هو يبكي، فأنشأها مرتبة على جل حروف المعجم، و كلما فرغ من قصيدة تلاها على مسامع والدته، و كلما تلا بيتا دعت له بما يرجو من الله قبوله، يقول في أول قصيدة منها:

ماذا أقول إذا أطلتَ ثنائـــــــي　　　و أنا عليك قصرت خير ثنائي
إن كان مدحي ليس يدنيني إلــى　　　علياك أدناني إليك رجائـــــي
أتكف كفي و هي صفر حاش أن　　　لا تملأن يدي بخير عطــــاء

الذخيرة الثانية في ربيع الأول عام 1340 هـ في نحو أبيات 1016
و هي من الربيعيات الجارية مجرى ما قبلها، و قد ابتدأها بترصيع الأبيات المنسوبة لبنات بني النجار، يقول فيها:

---
[1]- أدرجناه ضمن كتابنا مجموع الدواوين النبوية للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج.
[2]- أدرجناه ضمن كتابنا مجموع الدواوين النبوية للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج.

طلع البدر علينا في الدجى	من ثنيات الوداع ساطعـــــا
أيها المبعوث فينا مرسـلا	جئت بالأمر المطاع صادعا
وجب الشكر علينا و الثنا	ما دعا لله دَاع خاضعـــــــا

و قد ختم هذه الذخيرة بقصيدة يقول في مطلعها:

إذا الكون ما استوفى الثناء على النبي	فعجزي ما فيه يرى من تعجـــب
و أعلم أني لست شيئا حقيقـــــــــة	إذا ذكر المداح في حضرة النبــي
فقد جل قدرا أن أوفي بمدحــــــــه	و مقداره يعلو على كل منصــب
و غاية ما أمليته في مدائحــــــــــي	له بعض معنى لفظه غير مطرب
فوا أسف لو كان نطقي مساعــــدي	لإبداع مدح فيه إبداء مطلبـــــي
فأحسب ممن قد أجادوا ثناءهــــــم	عليه و نالوا منه حسن التقـــرب
على أنني مستيقن بقصورهـــــــــم	و إن شيدوا فيه القصور لموجب

و قد ختم هذه الربيعيات بقصيدة يقول في مطلعها:

طويل مديحي في علاك قصيـــــــــر	و لو أنني أطنبت فهو يسيـــر
قصارى عجز في ابتداء و في انتهـا	لديك لأني قد دهاني قصـــور
و اعلم أني عاجز و ابن عاجـــــــز	و عاجزة عن مدح ما هو ندير

و قرض هذين الذخيرتين أديب الرباط المرحوم أبوجندار [1] بقوله:

هذا هو الدرر لا ما جاء في صدف	و مطلع البدر لا ما جاء في ســـــدف
هذا هو الشعر بل و السحر خامرنا	فاللب في كلف و القلب في شغـــــف
ما شئت من غرر ما شئت من درر	ما شئت من ظرف ما شئت من تحـف
لا فض فوك أبا العباس أحمـــــدنا	يا مفرد العصر في فضل و في شرف

[1]- محمد بن مصطفى بوجندار، مؤرخ أديب شاعر، من مواليد مدينة الرباط سنة 1307 هـ_1889م، له تآليف كثيرة منها: الإغتباط في تراجم أعلام الرباط، ومقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، وتعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط، وشالة وآثارها، وفتح المعجم من لامية العجم، والعطر المسكي في حياة شيخنا المكي، ترجم فيه لأستاذه الشيخ المكي البيطاوري، إلى غير ذلك من مؤلفاته الأخرى.

توفي في ريعان شبابه عن سن 38 سنة بتاريخ 19 ربيع الثاني عام 1345 هـ_27 أكتوبر 1926م. أنظر ترجمته في مقدمة الإغتباط بتراجم أعلام الرباط 1_7. الأدب العربي في المغرب الأقصى، للقباج 1: 65. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، للجراري 2: 207_213. الأعلام، للزركلي 7: 102. معلمة المغرب 5: 1646. إتحاف المطالع، لابن سودة 2: 433. موسوعة أعلام المغرب 8: 2958.

ضوء الظلام، في مدح سيد الأنام [1]
و هي معشرات طويلية مرتبة على الحروف الهجائية، مدح بها الحضرة المحمدية، و قد اعتنى بشرحها العلامة قاضي الحضرة الوجدية سابقا السيد محمد بن الطيب بن الحسين الوجدي أيّام اعتقاله بالحضرة الفاسية، إلا أنه لم يتم شرحها، و قد جربت قراءتها بحضرة المحموم في شفائه، و لا ينكر الخواص إلا جاهل أو متجاهل، و مطلعها بعد خطبتها.

وقاية العطب، ببعض الخطب
قد اقترح علي جماعة من الأحباب إنشاء خطب جمعية و عيدية في مجموع سميته بوقاية العطب، بعد أن كنت ألقي الخطبة ارتجالا من غير تقييد، فأجبت اقتراحه، و قد ضاع جلها لعدم اعتنائي أولا بها، و إني لأرى أنه يتعين على الخطيب أن يخطب دائما بما يناسب الوقت، و يتعرض في خطبه لما ينفع السامعين ويرغبهم و يرهبهم بكل ما يدفع عنهم المقت، و لا يملي الخطبة إملاء من غير نظر، لما ينبغي الترغيب فيه و التّرهيب منه طبق ما أشرنا إليه، و لا يقتصر على الخطب المرتبة على جمع الشهور بحكايتها للسامعين، فهي في الغالب غير مؤثرة، و ليجتنب الطول الممل، و الإختصار المخل، سيما إن ضاق المسجد بالحاضرين، أو كان بالصحن زمهرير حر أو قر، فيُعَدُّ الخطيب بذلك ثقيلا، سيما و النفوس اليوم رهيفة الملل، حتى كادت أن تكتفي بالعلم عن العمل، و لله الأمر من قبل و من بعد.

[1]- أدرجناه ضمن كتابنا مجموع الدواوين النبوية للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج